موقف الإنكشارية من مطالبة الصرب بإستقلاله عن الدولة العثمانية ١٨٠٤-١٨١٢م

إعداد

علا محمود طه

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة موقف الإنكشارية من أهالى البلقان خاصة الصربين الذين يطالبون بحقوقهم فى الإستقلال الذاتى عن الدولة العثمانية عام ١٨٠٤م، حيث تناول البحث الموقف الإنكشارى من أهالى الصرب وكيفية معاملتهم ،حينما طالبوا بالإستقلال لبلادهم ، كما وضح البحث رد الفعل العثمانى على موقف الإنكشارية تجاه الصرب وتذمر أهلها من معاملة الإنكشارية لهم ، كما تناول رد فعل الدول الأوربية عامة والروس خاصة تجاه سياسة الإنكشارية والدولة العثمانية بحكم أنها المسئول الرئيس عن دول البلقان والسلافيين .

Abstract:-

The study deals with the study of the janissaries'attitude towards the people of the Balkans,especially the Serbs, who demand their rights to autonomy from the Ottoman Empire in1804AD.where did the research deal with situation janissary position of the people of the Balkans and how to treat them. When they asked independence for their country, the research also clarified the Ottoman reaction to a situation janissary towards the flock and its people grumbled about the janissary treatment of them.it also dealt with the reaction of the European countries in general, and the Russians in particular, towards the policy of the janissaries and the Ottoman Empire, as it is the main responsible for the Balkan countries and the Slavs.

موقف الإنكشارية (*) من مطالبة الصرب بإستقلالها عن الدولة العثمانية ١٨٠٤- ١٨١٢م

المقدمة :-

إن أزمة البلقان صارت تعبيراً عن الصراع الأوربى حول تقسيم التركة العثمانية ، وصارت الدول الأوربية تتدخل فى شئون الدولة الداخلية والضغط عليها حتى تفاقم أمرها مع أواخر القرن الثامن عشر، إذ حدثت فيه تغيرات إجتماعية وإقتصادية وفكرية وذلك فى بلاد البلقان بوجه خاص، ودول أوربا بشكل عام، حين تأثر كل منهما بالأخر، فتأثرت شعوب البلقان بما كان يحدث نتيجة الثورة الصناعية التى قامت فى بلاد غرب ووسط أوربا، وكانت الإمبراطورية العثمانية آنذاك هى المسيطرة على المواد الخام وسوق منتجات الغرب، وكانت بلاد البلقان وسوريا هما المنطقتان الأكثر إرتباطاً بالأسواق الأوربية، الأمر الذى جعل طلب الدول الاوربية على المواد الخام يزداد فى البلقان، وبالتالى تزامن معه تغيير فى طبيعة وملكية الأراضى الزراعية

(*) الإنكشارية (ينى جرى Yeniceri) : مصدرها الدرويش حاج بكتاش ولى ، ويقال أن أورخان بن عثمان (٧٢٧ -٧٦١ه) قد أصطحب الفرقة الأولى من هؤلاء المجندين إلى مسكن هذا الشيخ ورجاه أن يباركهم ويخلع عليهم إسماً ، وأن بكتاش وضع كمه فوق رأس أحد الواقفين فى الصف الأول وقال :" إن القوات التى أنشأتها ستحمل أسماً ينى جرى ، وستكون وجوههم بيضاء وضيئة ....."، وتخليداً لبركة بكتاش كان الإنكشارية يضعون على روؤسهم قلنسوه من اللباد الأبيض ، شبيهة بقلنسونه ، تتدلى منها من الخلف قطعة من الصوف بوصفها رمزاً لكم الشيخ الذى بارك به رقبة زميلهم ، وهم فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا الدولة الذين تم جمعهم ما بين السادسة والخامسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية فى أوربا فى وقت معين من السنة ، وهناك رأى مخالف وهو أن أفراد الإنكشارية كانوا من أولاد المسلمين ، وقد قدمت الإنكشارية للدولة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر خدمات كبيرة ، ثم فسد نظامها وتمردت على الدولة حتى أبادهم السلطان محمود الثانى(١٨٠٨ -١٨٣٩م) ، فى مذبحة (الواقعة الخيرية) جرت فى الأستانة عام ١٨٢٦م ، أنظر سهيل صابان : المعجم الموسوعى للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مرجع سابق ، صـــ ٤١ ، إسماعيل أحمد ياغى : الدولة العثمانية فى التاريخ الإسلامى الحديث، ط٣،مكتبة العبيكان ، الرياض ،١٤٢٣هـــ - ٢٠٠٢م ، صـــ صـــ١٤٥-١٤٦ .

لشعوب تلك المنطقة ، وذلك لإمداد السوق الأوربى بما يحتاجه ويروى عطشه من مواد خام وذلك لنجاح الثورة الصناعية(١).

ولما كانت الشعوب البلقانية- خاصة الشعب الصربى- لها إتصالها المباشر والمتزايد مع بلاد غرب أوربا فتوحدت أفكارهم مع المبادئ التى أصدرتها الثورة الفرنسية فيما بعد من الثقافة والتنوير القومى للشعوب وتحريرها، والتى كان لها تأثيرها المضئ على هؤلاء الفلاحين الذين غادروا أراضيهم وبلادهم وهربوا إلى الجبال، وما لبث الناس أن أصبحوا بحاجة إلى من يحميهم، فكانوا طائعين للقيادات العسكرية التى تزعمتهم وكونت منهم عصابات وميلشيات مسلحة ومدربة ، حتى أصبح بإمكانهم الدخول فى معارك ضد الحكومة العثمانية نفسها، وبات الأمراء المحليون زعماء شعبيين يحولون دون السكان والسلطة المركزية العثمانية.

ويأتى عام ١٨٠٤ م نقطة بداية البحث فى هذه الدراسة، حيث تعد فترة هامة فى تاريخ الدولة العثمانية والصربيين والدول الاوربية ، إذ تضمن موقف الإنكشارية من مطالبة الصرب بإستقلالها عن الدولة العثمانية ، حيث أصبحت الدولة العثمانية رغم نجاحها فى إستثمار نظام توازن القوى فى أوربا غير قادرة على السيطرة على شعوب البلقان، وكيف إستطاعت هذه الشعوب خاصة الصربيون منهم بعد فترة طويلة من تحملهم الحكم العثمانى قادرين على الثورة فى وجه الدولة العثمانية، ومقاومتهم لنفوذ الإنكشارية وحصولهم على الإستقلال الذاتى القومى، وكذلك محاولات الدول الأوربية التوسع على حساب أملاك الدولة العثمانية فى شرق أوربا، والتى ترتب عليها دعم الدول الأوربية للحركات الثورية التى قامت بها هذه الشعوب عامة والشعب الصربى خاصة ضد الحكم العثمانى ، مما نتج عنه تغير كبير فى الخريطة الأوربية .

---

(١) إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ : العلاقات العثمانية النمساوية (١٢١٩-١٢٨٤هـ/١٨٠٤-١٨٦٨م)[دراسة تاريخية حضارية] ، رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م ، صـ٤٥.

ويأتى عام ١٨١٢م نهاية للدراسة بتطلع الصرب – نتيجة تدهور أوضاع الدولة العثمانية بسبب الإنكشارية – إلى محاولة تحقيق الأمانى القومية فى الحصول على الإستقلال الذاتى وحكمها المستقل، والذى تحقق بعقد إتفاقية بوخارست ١٨١٢م، وذلك ثمرة صراع دام على مدار خمس قرون من الزمان لتحقيق مطالبها القومية .

وكان الصربيون آنذاك قد شكلوا قوات كبيرة ودافعوا عن العديد من المناطق التى حاول الأتراك الإستيلاء عليها، الأمر الذى أصاب العثمانيون بالدهشة من تلك القوة التى وصل إليها الصربيين، ويبدو ذلك مما تعرضوا له من الإنتهاكات وسفك الدماء التى قامت بها الإنكشارية لكى يستقلوا بسلطة منفردة عن الحكم العثمانى، وذلك حين قامت إنكشارية بلجراد وغيرها من إنكشارية المدن الصربية بالسلب والقتل لمواطنيهم من السباهية إقطاعى الأراضى، وعليه عندما تزايدت حالة العصيان والعنف فى الصرب عزم السطان سليم الثالث(١٧٨٩– ١٨٠٧م) ، على العمل بقوة ضد هؤلاء الثوار، وأرسل أبا بكير ليصير باشا لبلجراد ، مع فرمان يأمر الإنكشارية بالإنسحاب من تلك المدينة وكامل الباشالكات، ووفقاً للسياسة الشائعة إلى حد كبير فى الشرق والمتمثلة فى إستخدام أفظع الجرائم لمعاقبة المجرمين، أُزيح القائد الأعلى للإنكشارية بالإغتيال، وإنضم الإنكشاريون المطرودون إلى باسوان أوغلو(Pasuan Oglu)– متمرد ويدين – وبناءاً على تحريضهم قامت قوات باسوان بغزو الصرب، وفى هذا الوضع دعا (حاجى مصطفى) – الذى خلف أبا بكير بوصفه باشا بلجراد– الصربيين لحمل السلاح للدفاع عن المقاطعة، فلقد حكم كل من حاجى مصطفى وأبو بكير الصرب بالعدالة والإنسانية وإزدهرت البلاد تحت حكمهما ، وأصبحت غنية بالتجارة مع النمسا، ولبى الصرب دعوة الباشا ودافعوا منتصرين عن الباشالك، لكن حين وجدت الإنكشارية الأمور الصربية قد صلح حالها وغنى أهلها، شكلوا قوة مسلحة وتوافدوا معاً لنهب الصرب وطردوا السباهية -أصحاب الإقطاعيات– من المقاطعة ونصبوا الإنكشارية أنفسهم حكاماً مطلقين على الأراضى الصربية(١) .

(١) على حسون: العثمانيون والبلقان ، ط٢ ، بيروت – دمشق ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، صـ ١٧٠.

موقف الإنكشارية من مطالبة الصرب بالإستقلال:-

خلال الحروب القائمة بين الدولة العثمانية وروسيا والنمسا إنضم عدد كبير من رجال الصرب إلى الحرب فى صفوف النمسا، وبعد إنتهائها عادوا إلى بلادهم، لكن الإنكشارية المحلية فى الصرب لاحقوهم وتعاملوا مع الأهالى بمنتهى القسوة دون إذن الدولة، وذلك بحجة رفع السلاح ضد الدولة العثمانية فى صفوف الأعداء، على الرغم من أن السلطان سليم الثالث (١٧٨٩- ١٨٠٧م) ، قد عفا عنهم وتعهد بعدم التعرض للصربيين، وذلك بمقتضى الصلح مع النمسا بموجب معاهدة زشتوى عام (١٢٠٤هـ/١٧٩٠م)، الأمر الذى جعل الصربين يطلبوا مساعدة السلطان سليم الثالث بوصفه منقذهم من هؤلاء الطغـــــاه فأرسل الكنيس الصربي (servian kneses) خطابات إلى استانبول ذكروا فيها المظالم التى قاسوها وجاء فيها :" تعرضوا للهجوم فى دينهم وأخلاقهم وشرفهم ، فلم يعد هناك زوج أمن على زوجته، ولا أب على إبنته، ولا أخ على شقيقته، وأهانوا الكنيسة والدير والرهبان والقساوسة " ، ثم طلبوا من السلطان :" إذا كنت لا تزال سلطاننا فأت وحررنا من هؤلاء الأشرار، أما إذا كنت لن تعمل على إنقاذنا فعلى الأقل أخبرنا بذلك، لكى نقرر ما إذا كنا سنهرب إلى الجبال والغابات أو نسعى لإنهاء حياتنا البائسة فى الأنهار"(١).

ولكن المثير للدهشة أن الدولة لبت ندائاتهم وتدخلت وأمرت والى بلغراد (حاجى مصطفى باشا) بطردهم وقتل رئيسهم (دلى أحمد)، والذى كاد أن يقضى علي الإنكشارية لولا توسط بازوند أوغلى (Basound Oglu) للسلطان بعودتهم إلى بلغراد على ألا يتعدوا على أهالى الصرب مرة أخرى، كما عمل السلطان سليم الثالث على تحسين أوضاع الصربين فعقد صلح سيستوفا peace Sestovaعام(١٢٠٥هـ/١٧٩١م)، وأصدر ثلاثة فرمانات فى أعوام (١٧٩٣م،١٧٩٤م،١٧٩٦م)، حدد فيها علاقات الصربين بالحكومة العثمانية وهو ماحصلوا من خلاله على حقوق واسعة، لكن هذه الفرمانات لم تنفذ بسبب مقاومة

(١) تهانى شوقى عبد الرحمن : الأصول التاريخية للمسلمين فى البلقان، ط١، مرجع سابق ، د.ص.

الإنكشارية لها(١)، وأعلنت ثورتها وتحديها للحكومة المركزية، وتكونت ميلشيات تحت رئاسة بشفان أوغلو(Beshvan Oglu) الذى جمع عدد كبير من قطاع الطرق وأعلن إستقلاله عن الدولة العثمانية ١٧٩٥م، وظل بشفان أوغلو العقبة فى وجه العثمانيين والصربيين، وبدأت المشكلة مع الصرب تتزايد فى بلجراد لوجود فرق الإنكشارية التى صار شغلهم الشاغل هو التعدى على الأهالى فى الصرب (٢).

والملاحظ أن بشفان أوغلو لم يرسخ لهذه الشروط ، وأعتقد أن السلطان سيرسل قائداً لتسليح وقيادة الصربيين، لذا عقد بشفان أوغلو العزم على منع ذلك، وعاد لمناورة الصربيين مرة أخرى حتى يصبح للإنكشاريون وضع ومكانة أفضل فى بلجراد، وأمام الضغط المدنى والعسكرى للحكومة وعجزها على السيطرة على هؤلاء الإنكشاريين وضعف الجيش، إضطرت الدولة لمساومة بشفان أوغلو والإنكشاريين، وأعترفت بهم وبحكمهم لمناطق بلغارية وعينتهم فى وظائف رسمية حتى إزداد نفوذهم وتعديهم على الصربين، ولكن عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد نابليون فى عام ١٧٩٨م، كان لابد من دخول عدد كبير من جيش الدولة فى الحرب، مما أعطى الفرصة لبشفان أوغلو وفرق اليمكية للتزعم فى الصرب، وما لبثت إلا أن قوات باشا بلجراد هزمتهم فى ساباك(sabac)، كما توصل السلطان سليم الثالث لعقد إتفاق مع الصربيين لكى يقوموا بتسليح أنفسهم ويحاربوا تحت قيادة الباشا (الحاجى مصطفى باشا) كقوات فرعية، وأن يدينوا بالخضوع والطاعة للباشا حاكم بلجراد.

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها تسليح لرعايا الدولة بشكل قانونى، غير أن هؤلاء- الإنكشاريين- لم يحفظوا عهدهم وقتلوا الحاج مصطفى (أغسطس ١٨٠١م)، وأصبح قائدهم خليل أغا زعيم الصرب، وأقام لهم حكماً بغيضاً، والذى زاد الأمر بلاءاً هو إنتهاك الإنكشارية للأهالى حتى أصبحوا مصدراً للسرقة والنهب وبث الرعب فى نفوس الأهالى، وظلوا يشعلون الحرائق فى المبانى مالم يدفع أهلها

---

(١) على سلطان : تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، صـــ٢٦٦.

(٢) بيتر شوجر: أوربا العثمانية ١٣٥٤-١٨٠٤ (فى أصول الصراع العرقى فى الصرب والبوسنة) ، ت/ عاصم الدسوقى، ط١ ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٨م، صـــ٢٧٢ .

أموالاً لحمايتهم، وفى عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤- ١٧٨٩م) ، تم إشعال حوالى أكثر من ١٤٠ حريقاً بهذه الطريقة(١) ، كما قتل الإنكشارية حوالى سبعين شخص من أعيان المجتمع الصربى، وعندما قتلوا محافظ بلغراد (حاجى مصطفى باشا – أب الصربين) عام ١٨٠١ م، سيطروا على بلغراد وأحتلوها وعاثوا فيها فساداً مما أدى بهم فى النهاية لثورة ١٨٠٤م (٢)، ويذكر على رشاد فى ذلك ويقول :" أصبح من غير الممكن إصلاح فرق الإنكشارية والفرق الأخرى التى وصلت إلى حالة سيئة فى أى عمل تكلف به، ليس فقط ضد الأعداء الداخليين كما حدث فى ثورتى الروم والصرب، أو ضد الأعداء الخارجين فى المرات المتعددة التى خاضوها مع روسيا، فلم تكن من وسيلة سوى إلغاء تلك الأوجاقات" (٣).

الأمر الذى جعل الشعب الصربى يبعث بمندوبيه إلى العاصمة أستانبول ليعرض الوضع القائم فى بلغراد على السلطان سليم الثالث، ولكن ما لبث أن ماطل السلطان فى حل المشكلة حتى إضطر أهالى الصرب لرفض الحكم العثمانى، والإعتماد على أنفسهم فى التخلص من الظلم الإنكشارى، وقرروا الإنفصال التام عن الدولة العثمانية نهائياً(٤)، وعليه تحولت مشكلة الصربيون من مشكلة محلية إلى قضية عامة، وطلبت

---

(١) أندرو ويتكروفت : الأعداء على الأبواب ، الصراع بين العثمانيين والهابسبورج للسيطرة على أوربا ،ت/ عزت زيان ،تحرير/ أحمد إدريس ، مراجعة / عاطف معتمد ، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة ،القاهرة ، ٢٠١٢م، صـــ صـــ١١٣ –١١٥.

(٢) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ت/ عدنان محمود سلمان ، م/ محمود الأنصارى ، ط١ ، ج١ ، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا / أستانبول ، ١٩٨٨م ، صـــ٦٥٥.

(٣) أحمد محمد أحمد الهوارى : الإصلاحات العثمانية إبتداء من عهد السلطان سليم الثالث حتى عهد السلطان عبد العزيز فى ضوء المصادر التركية ، مرجع سابق ، صـــ٧١.

(٤) ثريا فاروق : الدولة العثمانية والعالم المحيط بها ، ت/ حاتم الطحاوى ، م/ عمر الأيوبى ، ط١ ، دار المدار الإسلامى ، د. م ، ٢٠٠٨م، صـــ١٣٩.

المساعدات من الدول الأوربية، وكان بداية العون من النمسا فى عام ١٨٠٤م، لتزويدهم بالسلاح والمعونة للثورة على الإنكشاريين(١).

والملاحظ أن هذه الثورة وقيامهم بها كانت موجه فى الأساس ضد الإنكشارية، لكن مماطلة الدولة العثمانية لهم فى حل مشكلتهم، وتمسكهم بمبادئ الثورة الفرنسية فى تحرير الشعوب وحصولهم على الإستقلال الذاتى جعل هذه الثورة تصبح قضية عامة ودولية ، ومن ثم نظم الصربيون ثورة تحررية نظمت سريعاً فى الصرب تأثروا فيها بكتابات رابيك(rajich)، وأوبرادوفيتش (obradovitch)، وأتخذوا من جورج بتروفيتش(Georgej petrovitch) زعيماً شعبياً، ليكون أول رجل قاد ثورة فى الصرب حتى أطلق عليه الفلاحون لقب (الباشا الصربى)، حتى أخذت الثورة شكل حرب العصابات وتجمع الفلاحين من مختلف المناطق فى ثورة عامة ، وأستطاع بتروفيتش أن يجمع حوله ثلاثين ألف مسلح، وكون جيش خاص وجعل كل السكان يحملون السلاح مكونون وحدات عسكرية فى أنحاء البلاد، كما إستطاع بتروفيتش الذى لقب (بجورج الأسود) نتيجة لضعف الدولة العثمانية والحروب التى نخرت فى عظام الدولة، وأشعلت رأسها شيباً أن يدخل الدول الأوربية فى التوصل إلى حل يضمن الوصول إلى حكومة ذاتية للصربين داخل نطاق الإمبراطورية العثمانية(٢).

الأمر الذى جعل السلطان سليم الثالث يرسل (أبو بكير باشا) وزير البوسنة إلى بلغراد للقضاء على الإنكشارية، بوصفهم أشد المتمردين ، وكان الصربيون غير متوقعين أن يقدم باشا البوسنة لمساعدتهم مع قوات السلطان سليم الثالث ، والذى تمكن من إخراج الإنكشاريين من البلاد (١٢١٩هـ/١٨٠٤م). ورغم هذا لم تهدأ الأمور ولم يستتب الأمن ، وكانت الأهداف الأصلية للثورة فى الصرب هى مجرد الحصول على الحماية فى سبيل الحياة، ولكن أثناء ذلك الكفاح أثير لديهم الشعور الوطنى فقد إستغل

---

(١) محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، ط٣ ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م ، صـ٢٠٠.

(٢) تشارلز بيلافيتش ، بربارا بيلافيتش : تفكيك أوربا العثمانية (إنشاء دول البلقان ١٨٠٤– ١٨٢٠م)، ت/ عاصم الدسوقى ، ط١، دار العالم الثالث ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، صـ صـ٤٢،٤٤.

الصربيون ضعف الدولة، وثاروا عليها بهدف الإنفصال عنها، حين وجدوا أن السلطان سليم الثالث لم يكن يرغب فى تقرير الحكم الذاتى للصرب رغبة حقيقية، لذا قاموا زعماء الصرب الأرثوذكس بالسخط على الدولة، مما جعل الكثير منهم أكثر ميلاً لربط مصيرهم بجيوش الإمبراطورية الروسية ، والبحث عن مساندة خارجية تضمن لهم تنفيذ شروط الحكم الذاتى لهم، وقتلوا مئات الأتراك فى مذابح عامة (١٢٢٢هـ/ مارس ١٨٠٧م)، مما جعل السلطان سليم الثالث يقف ضدهم ويرسل جيوش لقمع الثورة، وأستمر الوضع مشتعلاً حتى نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا(١).

الموقف الروسى من مطالبة الصرب بالإستقلال:-

كانت حركة الصرب القومية لها أثرها فى تحفيز دول شرق أوربا على مساندتهم للوصول إلى الإستقلال الذاتى، وربما أن هذه المساعدة جاءت فى صالح الأوربيين، حيث إستخدموا ذريعة حماية الإخوة المسيحيين للتدخل فى الشئون الداخلية العثمانية، وذلك حين علمهم المبشرون شعور التفوق والتماثل مع قوى الإستعمار الأوربية، وأوصلوا الشعب الصربى لحالة من البعد السياسى للدولة العثمانية، ونتيجة لهذا إنجرفت الدولة العثمانية وراء ثلاث حروب روسية- تركية، وحربين إشتركت فيهما فرنسا وإنجلترا (٢).

والملاحظ أن هذه المساندات للثوار لم تلقى دعم من فرنسا رغم أنها مصدر الإلهام للشعب الصربى والتى ساعدت الصرب بالمبادئ التى أصدرتها لتحرير الشعوب على التطلع نحو الإستقلال عن الدولة العثمانية، كما أن الحروب الفرنسية أيضاً

---

(١) بيتر شوجر: أوربا العثمانية ١٣٥٤-١٨٠٤ (فى أصول الصراع العرقى فى الصرب والبوسنة) ، مرجع سابق ، صـــ٢٣٢.

(2) SHAW STANFORD:THE OTTOMA EMPIRE under SULTAN SELIM III,1789-1807 ,(London,1971),p130.

ساعدت هذه الشعوب على الثورة والعصيان بطريق غير مباشر للتطلع نحو التحرر(١).

ويمكن القول أن الحركات القومية للأقليات العرقية فى الدولة العثمانية كانت تسيرها الدول الأجنبية مباشرة، بينما وُلدت حركة القومية الصربية فى البيت الفرنسي، ويبدو أن جانب الصداقة التى كانت قائمة إلى حد ما مع الدولة العثمانية له أثره فى عدم مساعدة هذه الشعوب بطريق مباشر(٢).

أما الجانب النمساوى والروسى فجاءت المساندات للصربيين مباشرة، ويبدو ذلك لأن الأطماع الإقليمية والإستراتيجية والدينية- حماية الأرثوذكس فى البلقان - والعرقية - السلافية ضد العثمانية - هى التى كانت تغذى هذه المساعدات، وربما الطمع فى السيطرة على ممتلكات الدولة وإنقسام التركة فيما بينهم. على أية حال رغم أن الثورة التى بدأها الصربيون على الإنكشارية والعثمانية، إلا أن القوى الأوربية هى التى وضعت مصير الصرب النهائى، والذى توقف على المصير الدولى بين تلك القوى والدولة العثمانية، كما أن الضعف العسكرى والإقتصادى والسياسى للدولة قد حفز هذه الدول الأوربية على التدخل السافر فى شؤونها الداخلية(٣).

الأمر الذى جعل قادة الصرب وشعبها المتعطش للحرية يتجهوا إلى طلب المساعدة من روسيا بحكم المذهب والقومية التى بينهم، فالروس مثل الصربيين مسيحين تابعين للكنيسة اليونانية (٤). كما إزدادت الروابط بين الصرب الأرثوذكس وروسيا خلال

---

(١) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس: المجمل فى تاريخ الدولة العثمانية (من النشأة إلى السقوط) ، ط١، مكتبة الأداب ، القاهرة ،٢٠٠٩م، صـــ٧١.

(٢) على حسون : العثمانيون والبلقان ، مرجع سابق، صـــ١٧٧، روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ت/ بشير السباعى ،ج٢، ط١، دار الفكر للدراسات ،القاهرة ،١٩٩٣م ، صـــ٢٠.

(٣) صلاح هريدى : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر(١٧٨٩ - ١٩١٤م)، د.ط ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،٢٠٠١/٢٠٠٢م، صـــ١٨٩.

(٤) تشارلز ييلافيتش ، بربارا ييلافيتش : تفكيك أوربا العثمانية(انشاء دول البلقان ١٨٠٤- ١٨٢٠م) ، مرجع سابق ، صـــ صـــ٣٥،٣٧.

القرن الثامن عشر الميلادى، رغم أنه حين وقف النزاع المذهبى بين الكنستين الشرقية الأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية حائلاً دون إتحاد العالم المسيحى ضد العثمانيين، آنذاك ساند العثمانيون الكنسية الشرقية والمذهب الأرثوذكسى مذهب غالبية سكان البلاد الواقعة تحت سلطتهم، وقاوموا أى محاولة لإنتشار الكاثوليكية داخل الأراضى التابعة لهم، مما مهد الطريق أمامهم للسيادة على الأرثوذكس بدلاً من الكنسية الكاثوليكية، الأمر الذى جعل جميع الأجناس من الإغريق أو السلاف الصربيين أو البلغار يفضلون الحكم العثمانى على ما عداه خاصة الحكم المجرى الكاثوليكى، كما أن دخول الروس فى حرب مع الفرنسيين، جعلهم يطلبوا من الصربيين تقديم طلباتهم للقسطنطينية أولاً، وذلك لأنه حينما كانت روسيا تريد الإنضمام إلى النمسا وإنجلترا ضد نابليون عام ١٨٠٥م، أعلن سفيرها (م.إيتالينسكى M.ITALINSKY) رسمياً للريس أفندى : " أن حكومته وجدت إنه من الضرورى نظراً للوضع فى أوربا مطالبة تركيا بالدخول فوراً فى تحالف هجومى دفاعى مع روسيا، وأنه يجب إعتبار جميع رعايا السلطان الذين يدينون بدين الكنسية اليونانية من الأن فصاعداً تحت حماية إمبراطور روسيا، وأنه متى يتم التحرش بهم من الأتراك يكون الباب العالى ملزماً بالقيام بالصواب بناءً على توضيحات السفير الروسى" ، ولقد قدمت هذه المطالب من السفير (م.إيتالينسكى M.ITALINSKY) فى نفس الوقت الذى وضعت الصربيين مطالبهم أمام السلطان بناء على الوصية الروسية ، وبالفعل تقبل الصربيون تلك الوصية وأرسلوا عام ١٨٠٥م ،سفارة للقسطنطينية تطالب بإقامة حاميات فى المستقبل من القوات الصربية فى جميع حصون البلاد، وإسقاط جميع الضرائب والجزية عنهم(١)،وفى هذا الشأن تحدث رئيس الوزراء النمساوى مترنيخ(METRCH) (١٢٢٣هـ/١٨٠٨م)(*)، بشأن

---

(١) ثريا فاروق : الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، مرجع سابق ، صـــ١٣٤.

(*) مترنيخ : رجل دولة النمسا ، ويعتبر من أبرز الشخصيات المناهضة للحركات القومية وحركات التحرر الوطنية والسياسية ، ولد فى ١٠صفر ١١٨٧ه/٣ مايو ١٧٧٣م، وسط إقطاعية آل مترنيخ بالقرب من مدينة كويلنتز فى الإمبراطورية النمساوية من عائلة مترنيخ الكاثوليكية، خدم والده فى مراكز إدارية عدة كان أخرها وزير النمسا والمفوض فى بروكسل ، وتأثر بإعدام مارى إنطوانيت سليلة البيت المالك النمساوى ، وإقترن إسمه دائماً بسياسية التدخل فى أوربا تلك السياسية التى إتبعها

مسألة الصرب قائلاً :" إن صربيا الوليدة لا تعبر عن شئ سوى أنها لعبة بين النمسا وروسيا، وبالنسبة لما يحدث فخير للصرب البقاء بين كنف الأتراك"، حيث ظل مترنيخ يدافع عن وجود وحياة وبقاء الدولة العثمانية على مدى سنوات عمره ويقول : " إن وجود الدولة العثمانية وكيانها يتنافى مع مصالح المسيحية، ولكن إستمرار هذا الوجود العثمانى يعد خيراً كبيراً لأقصى درجة بالنسبة لأوربا ".

لكن الممثل الروسى فى بلغراد رد عليه قائلاً: "إن صربيا مثلها مثل الدول الكبرى الأخرى"(١).

وأصبحت مسألة الصرب خلاف روسى نمساوى وتأزم الموقف الدولى وإصطدمت روسيا بالنمسا والمجر عام ١٨٠٧م من جهة، والعثمانيين من جهة أخرى، وذلك عندما إتفق قيصر روسيا (إلكسندر الأول) مع زعيم الثورة الصربية فى يوليو ١٨٠٧م،(قره يوركى) على توقيع معاهدة بينهما تنص على :"مد ثوار الصرب بالأموال والأسلحة وتدعيم القلاع الصربية بجند من الروس للدفاع عنها، على أن يعين القيصر الروسى حاكماً على الأقاليم التى يتم تخليصها من حكم الأتراك " (٢).

موقف الدولة العثمانية من مطالبة الصرب بالإستقلال:-

ولقد عزم السلطان سليم الثالث على شن الحرب على الصربيين ، فألقى القبض على المندوبيين الصربيين فى إستانبول، وأصدر الأوامر لحافظ باشا نيش بالدخول

= من أجل القضاء على الحركات الإستقلالية والقومية والدستورية ، فقد تدخل لقمع الثورات فى إيطاليا وألمانيا ، كما عقد إتفاقية مع كل من روسيا وبروسيا لقمع الحركات القومية والدستورية ، أما فى داخل النمسا فكان مترنيخ رمزاً للنظام البوليسى النمساوى الذى كان يهدف إلى قتل الحرية الفردية ،فأسرع يقيد حرية الصحافة ، وحرية الرأى ،كما أخضع نظام التعليم إلى المراقبة الصارمة ،إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ : العلاقات العثمانية النمساوية (١٢١٩-١٢٨٤هـ/١٨٠٤-١٨٦٨م)[دراسة تاريخية حضارية] ، مرجع سابق ، صـــ٧٤.

(١) المرجع نفسه ، صـــ ٨١ .

(٢) صلاح هريدى : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر(١٧٨٩ – ١٩١٤م)، مرجع سابق ،صـــ صـــ١٨٩،١٩٢.

للصرب ونزع السلاح من الرعايا، دافع الصربيون عن أنفسهم ضد هذه الجيوش العثمانية ببسالة وأستولوا على بلغراد التى كانت تحت اليد العثمانية وحققوا آنذاك إستقلال كامل بدون تدخلات أجنبية، وفى ذات الوقت كانت فرنسا تشجع الباب العالى على المقاومة وعلى الإعتراف بنابليون باديشاه – إمبراطور لفرنسا- ولكن عارض السفير البريطانى والروسى ذلك، وهددتا الدولة العثمانية بإعلان الحرب عليها إذا إعترفت بنابليون إمبراطوراً، ولكن لم يلق السلطان بالاً لهذه التهديدات حتى وصل الجنرال سيباستيانى(SEBASTIAN) إلى استانبول بوصفه سفيراً فوق العادة من نابليون إلى السطان سليم الثالث ،والذى أقنعه بإتخاذ الإجراءات اللازمة لإحتمال وقوع حرب بين تركيا وروسيا، وبالفعل وقعت حرب فيما بينهم عام ١٨٠٧م، دون أن يحرزا أى منهما نجاحه على الأخر، فكانت القوتان إلى حد ما متساويتان وعقدت هدنة فيما بينهم، إلا أن السلطان محمود الثانى(١٨٠٨ –١٨٣٩م)- حاول القضاء على ثورة الصرب منذ توليه الحكم عام ١٨٠٨م، وإستعادة ما إحتلته روسيا من أراضى فى ولايتى الدانوب ومولدافيا وولاشيا ، الأمر الذى جعل الروس يتخوفون من ذلك فقاموا ببعض المناوشات العسكرية على الدولة العثمانية ١٨٠٩م، وأرسلوا حكاماً لهم لحكم الأقاليم التى إحتلتها على الدانوب ومقاطعة مولدافيا وولاشيا(١).

ولكن يبدو أن حرص الروس على عقد صلح مع العثمانيين كان شديداً هذه المرة للتفرغ لنابليون وحروبه التى إجتاحت أوربا، كما يبدو أن الحروب النابليونية قد أجلت هذه الإنتصارات الصربية هذه المرة، فقد عقدت روسيا مع الدولة العثمانية هدنة حتى تتفرغ لهذه الحروب النابليونية، مما جعلها تنصرف بعيداً عن المساعدة الصربية، الأمر الذى جعل الصربيون يفقدون آمالهم والتى باتت قريبة فى الحصول على الإستقلال الذاتى لهم (٢)، وأدى رجوع التعاون الصربى الروسى هذا إلى هزيمة العثمانيين فى (فارفارين Farfarin ، ولوزليكا Luselica)١٨١٠م، الأمر الذى جعل

---

(١) على سلطان : تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، صـــ٢٦٧.

(٢) تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش : تفكيك أوربا العثمانية(انشاء دول البلقان ١٨٠٤– ١٨٢٠م)، مرجع سابق ، ص٤٨.

الدولة العثمانية تجهز جيشاً بقيادة (أحمد باشا) سار بستين ألف مقاتل أدى لهزيمة الروس فى (تاتاريجه Targary) الواقعة بجوار هذه المنطقة، وأصبحوا يسيطرون على دلتا الطونة وعلى الأراضى الرومانية فى (قفقاسياCaucasus) على إمتداد ساحل البحر الأسود، ولما ظل الضغط الفرنسى على الروس فى الجبهة الأخرى إضطرت روسيا لطلب المفاوضات مع الدولة العثمانية لتنعقد معاهدة بوخارست(١)، ومن ثم أرسل القيصر الروسى وفداً تحت قيادة الكونت ألكساندر دى لانجيرون(Count Alexandre de Langeron)، والجنرال جوزيف فونتون(General joseph Fonton)، والسفير الروسى إلى إستانبول الكونت أندريه إيتالينسكى(Andrei Count Italinsky)، للتفاوض مع الأتراك فى بوخارست وتم توقيعها بعد نجاح المفاوضات بين الحكام القيصر ألكسندر الأول(Alexander I) والسلطان محمود الثانى(١٨٠٨ –١٨٣٩م) ، قبل غزو نابليون لروسيا ب١٣ يوماً، وتم التصديق عليها فى ٥ يوليو ١٨١٢ م، وتكونت من ١٦ مادة، أوقفت الحرب الروسية – العثمانية، حيث تخلت فيها الدولة العثمانية لروسيا عن بسارابيا(Bessarabia) ، ومنحت كل أراضى مولدافيا(Moldova) الواقعة على اليمين لنهر بروت(Brut) وكامل والاشيا (Wallachia) إلى السلطان، كما أن (هوتين Hoten) التي تقع غربى أوكرانيا الحالية في منطقة بيسارابيا قديماً خرجت بمقتضى هذه المعاهدة من التبعية العثمانية بشكل نهائى، وأصبح نهر البروث ومصب نهر الدانوب(Danube) هو الخط الفاصل بينهما، وذلك لأن سكان سواحل البحر الأسود فى الجنوب (بوجاق Boujak)، وأهالى بسارابيا(Bessarabia) كانوا أتراكاً ، وعليه أصبح نهر بروث يشكل الحدود العثمانية – الروسية (٢).

---

(١) محمد صبرى الدالى : فى تاريخ الصدام والحوار بين الشرق والغرب { القوى الأوربية الكبرى والصراع الروسى العثمانى على البحر الأسود والمضايق} ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٤م، صـــ٧١، حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الأن ، ت/ محمد زينهم محمد عزت ، ط١، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٥م، صـــ١٢٢.

(٢) إدوارد شيفرد كريسى : تاريخ الأتراك العثمانيين ، مرجع سابق ، صـــ٤٢٤.

كما منحت الصرب فى المادة رقم /٨ بعض الإمتيازات مع شريط من الأراضى التى تقع جنوبها والتمتع بالحكم الذاتى لصربيا، والتى نصت المادة الثامنة من المعاهدة المتعلقة بالصرب على الأتى: "مع أنه كان من المستحيل الشك فى أن الباب العالى – وفقاً لمبادئه– سوف يتعامل بالدماثة والشهامة مع الصربيين بوصفهم شعباً وقع فترة طويلة تحت سيادته، فلا يزال عادلاً مع مراعاة المشاركة التى قام بها الصربيون فى الحرب، التوصل إلى إتفاق رسمى يحترم أمنهم "، إلا أن غموض البنود الواردة فى المعاهدة فيما يتعلق بالوضع الصربى والعثمانى كان مقصوداً من الجانب الروسى، وذلك لأنهم على دراية أن هذا الوضع سينقلب وسيؤدى للتدخل الروسى مرة أخرى فى شوؤنهم الداخلية : " قد يعزز هذا السلوك المخططات الخفية لروسيا فى الشرق، لكنه لم يبد سوى القليل من العدالة والكرم للصربيين " (١).

(1) PHILIP MANSEL,CONSTANTINOPLE : CITY of the WORLD'S DESIRE 1453-1924, JOHN MURRAY ,LONDO, 1995,p222.

الخاتمة :-

- إن موضوع موقف الإنكشارية من مطالبة الصرب بإستقلالها عن الدولة العثمانية (١٨٠٤- ١٨١٢م)، مثل نقطة احتكاك رئيسية بين الدولة العثمانية والإنكشارية ودول شرق أوربا فهو متعدد الاهداف والنتائج ، حيث بدأ يوضح علامات التنافس بين الدول الكبرى فى البلقان لعدم قدرة الدولة على حماية ممتلكاتها، مما أدى لظهور ما يعرف فى الوسط الأوربى "بالمسألة الشرقية ".
- حدث تداخلات أوربية متوسعة فى أمور الدولة العثمانية فى عصر ضعفها، مما أضعف من بنية الدولة على عكس ما توقع سلاطينها، كما زاد من التدخلات الأوربية فى أمور الدولة العثمانية وشئونها الداخلية، الأمر الذى ساعد على زيادة الإضطرابات والشغب فى الدولة، فأثار الشعوب البلقانية خاصة الصربية بحكم قربها من هذه البلاد الأوربية خاصة النمسا وروسيا وزاد السخط العام فى البلاد، الأمر الذى أصبح خارج نطاق يد الدولة العثمانية حتى أقعدها فى الفراش مدة ما هى بالقليل، والذى أفرز إنقلابات وثورات أدت لتدخلات أجنبية من الدول الأوربية فرضت علي الدولة شبه إستعمار بإسم نعرة الدين والنعرة القومية لدى أقليات الدولة العثمانية، الأمر الذى أوضح علاقة الإنكشارية العسكرية بحركات الثورات التى قامت بها الأقليات الدينية المسيحية الصربية فى الدولة وصلة ذلك بتفككها وإنهيارها التدريجى .
- أفرز هذا الموقف الإنكشارى من مطالبة الصرب بإستقلالها عن الدولة العثمانية ،إلى أى مدى إهتمام الدول الأوربية بالمسألة الصربية خاصة روسيا والنمسا وفرنسا، وكيف أصبحت الصرب مجالاً للتنازع بين الدول الأوربية والدولة العثمانية، الأمر الذى إتضح فيه النية الفرنسية وراء توسعاتها فى القارة الأوربية تبعاً لسياسة نابليون ،مما إستدعى التقارب مع الدولة العثمانية تارة وروسيا تارة أخرى، والتى رأت فيه روسيا تهديداً محتملاً على أحلامها فى السيطرة على المياه الدافئة فى البحر الأسود والأبيض المتوسط .

- كان لإنهيار الهيبة العثمانية من زعامة الشرق الأوربى فى ضوء عدم مقدرتها فى الدفاع عن أملاكها، أثره فى جعل القوى الأوربية تتطلع لتحقيق مآربها السياسية، وفرض هيمنتها على أملاك الدولة العثمانية وتزعم العالم الأوربى، وكان من أثر ذلك إنفراد الروس بالسيادة، وفرض قوتها على الساحة الأوربية، وهكذا عاشت كلا الدولتين العثمانية والروسية فى صراعات فى عالم صغير أفرزت عنه دول وليدة – الصرب – منذ عام ١٨٠٤م، والتى شقت طريقها وإستقلت بدورها عن هذه الصراعات التى تزول بعقدهم للمعاهدات بين حين وأخر، والتى ساهمت فيها هذه الدولة الوليدة بطريق غير مباشر لأخذ طعامها لتنمو فى الوجود الأوربى ،وتأخذ نصيبها الوراثى فى تركة البيت البلقانى مثلها مثل الدول الكبرى، كى تعيش فى أمان وسلام فى الشرق الأوربى .

أولاً : المراجع

١)باللغة العربية:-

(١) إدوارد شيفرد كريسى : تاريخ الأتراك العثمانيين ،ت/ أحمد سالم سالم ،ط١،دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة- قطر،٢٠١٩.

(٢) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس:المجمل فى تاريخ الدولة العثمانية (من النشأة إلى السقوط) ، ط١، مكتبة الأداب ، القاهرة ،٢٠٠٩م.

(٣) أندرو ويتكروفت: الأعداء على الأبواب :الصراع بين العثمانيين والهابسبورج للسيطرة على أوربا ،ت/ عزت زيان ،تحرير/ أحمد إدريس ، مراجعة / عاطف معتمد ، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة ،القاهرة ، ٢٠١٢م.

(٤) بيتر شوجر: أوربا العثمانية ١٣٥٤-١٨٠٤ (فى أصول الصراع العرقى فى الصرب والبوسنة) ، ت/ عاصم الدسوقى، ط١ ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٨م .

(٥) تشارلز ييلافيتش ، بربارا ييلافيتش: تفكيك أوربا العثمانية (إنشاء دول البلقان ١٨٠٤- ١٨٢٠م)، ت/ عاصم الدسوقى ، ط١، دار العالم الثالث ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .

(٦) تهانى شوقى عبد الرحمن : الأصول التاريخية للمسلمين فى البلقان، ط١، دار العالم العربى ، القاهرة ،١٤٣١هـ /٢٠١٠م .

(٧) ثريا فاروق : الدولة العثمانية والعالم المحيط بها ، ت/ حاتم الطحاوى ، م/ عمر الايوبى ، ط١ ، دار المدار الاسلامى ، د. م ، ٢٠٠٨م .

(٨) جستن مكارثى : الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانين (١٨٢١- ١٩٢٢م) ، ت/ فريد الغزى ، جمعية أتراك السعودية من مكتبة amroturan ، د. ط ، د.ت .

(٩) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بنى عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، ت/ محمد زينهم محمد عزت ، ط١، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

(١٠) روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ت/ بشير السباعى ،ج٢، ط١، دار الفكر للدراسات القاهرة ،١٩٩٣م .

(١١) صلاح هريدى : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر(١٧٨٩ – ١٩١٤م)، د.ط ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،٢٠٠١/٢٠٠٢م.

(١٢) على حسون : العثمانيون والبلقان ، ط٢ ، بيروت – دمشق ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

(١٣) على سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ط٤، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، بيروت،١٤٢٣ه/٢٠٠٢م .

(١٤) محمد سهيل طقوش : تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ط٣ ، دار النفائس ، بيروت – لبنان ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م .

(١٥) محمد صبرى الدالى : فى تاريخ الصدام والحوار بين الشرق والغرب القوى الاوربية الكبرى والصراع الروسى العثمانى على البحر الاسود والمضايق] ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٤م.

(١٦) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ت/ عدنان محمود سلمان ، م/ محمود الانصارى ، ط١ ، ج١ ، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا / استانبول ، ١٩٨٨م .

٢) باللغة الاجنبية :-

($_1$) PHILIP MANSEL,CONSTANTINOPLE : CITY of the WORLD'S DESIRE 1453-1924, JOHN MURRAY ,LONDO, 1995,p222.

(2)SHAW STANFORD:THE OTTOMAEMPIRE under SULTAN SELIM III,1789-1807

ثانياً: الرسائل العلمية :-

(١)أحمد محمد أحمد الهوارى : الإصلاحات العثمانية إبتداء من عهد السلطان سليم الثالث حتى عهد السلطان عبد العزيز فى ضوء المصادر التركية ، رسالة دكتوراه ، قسم اللغات الشرقية ، الفرع التركى ، كلية الأداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٨١م .

(٢)إيمان بنت علاء الدين إبراهيم صائغ ، العلاقات العثمانية النمساوية (١٢١٩-١٢٨٤هـ/١٨٠٤- ١٨٦٨م)[دراسة تاريخية حضارية] ، رسالة دكتوراه ،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م .

ثالثاً : الموسوعات :-

١) سهيل صابان : المعجم الموسوعى للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مطبوعات الملك فهد الوطنية ، الرياض ،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.